

محددات الحرب علي الإرهاب من منظور أمريكي

أ/ عبد العظيم بن صغير

كلية الحقوق والعلوم السياسية

جامعة محمد خيضر - بسكرة.

Abstract:

War policy on terror can be originated theoretically, and basically, on perspectives which support the idea of struggle between the western world and the Islamic one.

Starting from religious ideas of the extremist Christain rightists and based on political theses of the new conservcatives, the allies with the world Zionism who believe in the stuggle's eternity.

Consequently, we will takle, in details, the determinants of war policy on terror which was adopted by the American administration after the evevts of Septemper 11 th, 2001.

الملخص:

إن سياسة الحرب على الإرهاب يمكن تأصيلها نظريا تأسيسا على مرجعيات فكرية تغذي مقولة الصراع بين العالم الغربي والعالم الإسلامي وانطلاقا من أفكار دينية لليمين المسيحي المتطرف واعتمادا على أطروحات سياسية للمحافظين الجدد، المتحالفين مع الصهيونية العالمية الذين يؤمنون بأبدية الصراع، وعليه سوف نتناول بالتفصيل محددات سياسة الحرب علي الإرهاب التي تبنتها الإدارة الأمريكية عقب تفجيرات 11 سبتمبر 2001.

أولاً: نمطية الحرب على الإرهاب والمعايير المزدوجة.

تنتقل الولايات المتحدة في التعامل مع ظاهرة الإرهاب وفق منظور نمطي؛ الذي يعني أن بعض التكوينات الثقافية وأجزاء من تراث وتقاليد وقيم بعض الشعوب هي التي تسهم في دفع أفرادها إلى التطرف والعنف وممارسة الإرهاب ⁽¹⁾، وهذا جزء من المرجعيات الفكرية للحرب على الإرهاب التي تركز على صدام الحضارات والعدو القادم من الشرق أو الخطر الإسلامي الزاحف الذي يهاجم نمط الحياة الأمريكية، ولا تتعامل مع الإرهاب وفق منظور سوسيو سياسي يأخذ بعين الاعتبار الدوافع والمسببات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي قد توفر الشروط المناسبة لتنامي ظاهرة الإرهاب في إطار التحولات العالمية التي صاحبت انتهاء الحرب الباردة.

فمنطية الحرب على الإرهاب تقوم على قاعدة الحسم العسكري والمواجهات الميدانية المفتوحة مع الإرهابيين عن طريق ملاحقتهم في أي بقعة من العالم، واستخدام القوة العسكرية لردع أي تنظيم أو دولة متورطة في دعم الإرهاب، وهذا الأسلوب أثبتت التجارب عدم فعاليته والمثال على ذلك "المشهد الأفغاني بعد 6 سنوات من الحرب المفتوحة"، أصبح الوضع أكثر سوءاً وأشد تدهوراً مما كان عليه أثناء حكم طالبان، فزراعة المخدرات قد عادت للانتشار على أوسع نطاق ممكن، وغياب الأمن بحكم انتشار الفساد والفقر والبؤس، بالإضافة إلى تزايد معدلات القتل في أوساط المدنيين ورجال الشرطة الأفغانية وكذلك قوات التحالف، عن طريق عودة نشاط حركة طالبان.

نفس الوضع في العراق انعدام للأمن وانتشار للقتل الجماعي والفتنة الطائفية وزيادة معدلات تفجير الأحياء العامة والأسواق. والمدن والمدامر، والمزارات الدينية والمساجد ومقرات الجمعيات الناشطة في مجال الخدمة المدنية ... الخ.

وزيادة عدد القتلى من الجنود الأمريكيين، رغم تأكيد تقرير (بيكر هاملتون) يوم 2006/12/07 إلى ضرورة مراجعة الإدارة الأمريكية لسياستها في العراق التي ستؤدي إلى الانقسام السياسي وإلى نتائج غير مرغوبة، وأكد التقرير السابق على إشراك كل من سوريا وإيران في تسوية الوضع العراقي ووضع جدول زمني لانسحاب القوات الأمريكية وهو الإجراء المرفوض من طرف الإدارة الأمريكية رغم الخسائر الثقيلة والمتاعب

السياسية والأمنية التي تتعرض لها الولايات المتحدة الأمريكية في العراق. ولكنها تصر وقف تصور نمطي للحرب على الإرهاب يرى الأشياء بمنطق مغاير لسيرورة الوقائع على الأرض، فهذا الإصرار النمطي أكدته تصريح نائب الرئيس الأمريكي ديك تشي في سؤال وجه له من طرف شبكة تلفزيون (CNN)، هل سيقوم مجلس الشيوخ باستصدار قرار يعارض سياسة الرئيس في العراق؟ فأجاب قائلاً بكل ثقة: " سنستمر في سياستنا الحالية في العراق"، الأمر نفسه لما هدد الرئيس بوش، باستخدام الفيتو الرئاسي، في حالة لجوء مجلس الشيوخ الأمريكي إلى عدم المصادقة على الإعتمادات المالية التكميلية لتغطية نفقات الحرب في العراق، وهو القرار الذي لم يستطع مجلس الشيوخ الديمقراطي، المصادقة عليه، رغم معارضة شديدة لسياسة بوش في العراق.

في يوم 18 نوفمبر 2006 أعلن الرئيس بوش الابن من العاصمة الفيتنامية (هانوي)، "إن الحرب الفاشلة في فيتنام قبل ثلاثة عقود، قد وفرت للولايات المتحدة الأمريكية دروساً يمكن الاستفادة منها في الحرب على العراق، وهي الحرب التي لا بد من الاعتراف بصعوبتها وسوف تطول، ولكن المؤكد أننا سننجح في هذه الحرب ولن ننسحب من العراق قبل إنجاز المهمة (2)

إن إصرار الرئيس بوش الابن في هذه السياسة يظهر عدم إدراكه ما الذي يريده بالتحديد في حربه على الإرهاب، هل يريد القضاء على القاعدة أم الإسلام أم أسامة بن لادن أم إيران أم حزب الله أم حماس أم على المتمردين... الخ، وفي خطاب له في جانفي 2003 يقول "لا يوجد يوم لم أسمع فيه عن تهديد جديد ... الحرب مستمرة ونحن في الطريق لكسبها، ثم يعلن من على ظهر حاملات الطائرات الأمريكية خطاب الانتصار على أفغانستان بقوله "المهمة أنجزت" ويعاود الكرة سنة 2004 وسؤكد حول ضرورة متابعة الحرب التي تظل دائماً في اتجاه تحقيق النصر، ومن اجتماع إلى اجتماع يقول باسكال بونيفاس "كان يقدم نفسه كوزير حرب وليس كرئيس دولة"⁽³⁾ ولكن يبدو أن المهمة لم تنجز لا في العراق ولا في أفغانستان كما كانت تريد الإدارة الأمريكية، وقد تظهر أشياء من المستقبل تؤكد على جسامه الأخطاء الإستراتيجية لنمطية الحرب على الإرهاب والمعايير المزدوجة التي اعتمدتها أمريكا في حملتها ضد الإرهاب.

فإذا كان العدل يعتبر كقيمة شمولية ويجب تطبيقه على هذا الأساس، وفي كل الظروف والحالات، فإنه لم يكن كذلك الحال في السياسة الدولية، حيث هيمنة القطب الواحد الذي فسر الشرعية الدولية بما ينسجم ومصالحة الحيوية، الأمر الذي ترتب عليه ظهور ما يطلق عليه "سياسة المعايير المزدوجة" أو "الكيل بمكيالين" في تطبيق الشرعية الدولية ضد طرف دون الطرف الآخر⁽⁴⁾ وبالنظر للقانون الأمريكي نفسه نجده ينص صراحة في العديد من تشريعاته على عدم تعذيب السجناء، فقانون العدالة العسكرية الأمريكي ينص على محاكمة أفراد الجيش محاكمة عسكرية لإساءة معاملة السجناء، وكذلك يحرم قانون جرائم الحرب لعام 1996، ممارسة جرائم الحرب المنصوص عليها في اتفاقيات جنيف الأربع التي تنص في المادة 03 من كل اتفاقية: على خطر المعاملة اللا إنسانية والتعذيب " هذا فضلا عن قانون الفيدرالي لمناهضة التعذيب الذي ينص على محاكمة أي مواطن أمريكي خارج البلاد مارس التعذيب ويمكن حبس هذا الفرد لمدة لا تزيد عن 20 عاما، وفي حالة موت الضحية يمكن الحكم بالإعدام أو السجن مدى الحياة"⁽⁵⁾.

إن الدارس للتشريعات والقيم التي تنادي بها الولايات المتحدة الأمريكية في مجال نشر الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وإعلاء قيم التسامح والكرامة الإنسانية، ونبذ كل صور الإهانة والخط من قيمة الإنسان، يستغرب فعلا ما تقوم به الإدارة الأمريكية في إطار ما يسمى بـ "الحرب على الإرهاب" أين تقوم بعمليات الاعتقال والحجز والتعذيب وانتهاك الحريات ومحاصرة الحكومات والشعوب وقهر الكرامة الإنسانية من خلال تفجير الناس وتجويعهم (محاصرة حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية، وتجميد أموالها). تحت ذريعة سيطرة حركة حماس المصنفة أمريكيا كحركة إرهابية ، وبالتالي "لا يجوز التعامل معها، ولا يهم إن كان الشعب الفلسطيني اختارها، فالديمقراطية وفقا للمعايير المزدوجة ومنطق الحرب على الإرهاب، لا قيمة ولا أهمية لها مادامت لم توافق عليها الحكومة الأمريكية ولعل الكل شاهد عبر وسائل الإعلام، كيف كانت القوات الأمريكية تقصف المدنيين في الحرب على أفغانستان جوا، وتلاحقهم برا في القرى والمدن بزعيم البحث عن مقاتلي طالبان والقاعدة وفي مشهد غريب جدا تقوم الطائرات

الأمريكية المحاربة برمي حزم الأكل للمدنيين الأفغان، في صورة متناقضة منطقياً وعقلياً، وتظهر مدى الاستخفاف الأمريكي بالرأي العام العالمي، تقتل من جهة وتقدم الأكل من جهة ثانية.

فهذه الازدواجية في المعايير برزت بشكل واضح أيضاً في حرب العراق، حيث انتقد جورج بوش الابن في خطابه حول حالة الاتحاد في جانفي 2004، نظام صدام حسين لممارسته التعذيب ضد مواطنيه، مؤكداً على أن الحرب على العراق هي خطوة من أجل إنقاذ الشعب العراقي من بطش صدام حسين، وهي التسمية المفضلة عند الأمريكيين "معركة تحرير العراق"، إلا أن الواقع أثبت العكس حيث قامت الولايات المتحدة بممارسة التعذيب في سجونها السرية الموجودة في بولندا ورومانيا وهذا حسب التحقيق الذي قام به البرلمان الأوروبي وخرج عنه تقرير في 07 يونيو 2006 يتهم 14 دولة أوروبية متواطئة مع الاستخبارات الأمريكية في فتح سجون سرية في أوروبا⁽⁶⁾.

كما لا ننسى فضائح سجن أبو غريب في العراق، والإهانة الأخلاقية والخط من الكرامة الإنسانية التي تعرض لها العراقيون على يد القوات الأمريكية في صور شاهدها العالم وبثت عن طريق الشبكة العالمية، والتحقيقات التي قامت بها اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومنظمة العفو الدولية حول وضعية سجناء جوانتنامو

وتأكيداً على ازدواجية المعايير كمحدد لسياسة الحرب على الإرهاب يستند مكتب الرقابة على الإدارة والميزانية⁽⁷⁾ (OMB Watch)، أن الحكومة الأمريكية في تعاملها مع شركة "هاليبرتون" وهي شركة عملاقة للمقاولات الدفاعية، كان يرأسها نائب الرئيس الأمريكي "ديك تشيني" وقد خضعت هذه الشركة "هاليبرتون" للتحقيق من قبل وزارة الخزانة الأمريكية بالتعاون مع وزارة العدل منذ عام 2001، بسبب تعاملها مع إيران، وهي الدولة المصنفة أمريكياً ضمن الدول الراحية للإرهاب، ولكن وفي 22 سبتمبر 2005، كتب المؤتمر التقدمي في مجلس النواب الأمريكي إلى الرئيس جورج بوش الابن، يطالب فيها بمنع شركة هاليبرتون من الحصول على عقود الإغاثة في إعصار كاترينا بسبب تعاملها مع دولة ترعى الإرهاب، ولكن البيت الأبيض لم يتخذ أي خطوات بهذا الشأن، وحصلت الشركة على عقود خارج المناقصة تقدر قيمتها بـ 61.3 مليون دولار للقيام بأعمال

التنظيف، وإعادة البناء وتأمين المساعدات اللوجستية لضحايا الإغصارين "كاترينا" و"ريتا"، رغم أن كل المنظمات تخضع لنفس القانون الأمريكي ولكن منطق الحرب على الإرهاب جعل الإدارة الأمريكية تتعامل مع منظمات المجتمع المدني بشكل انتقائي وبمعايير مزدوجة، فقد تم إغلاق العديد من المنظمات الخيرية وتجميد أموالها لأنها منظمات إسلامية منها على سبيل المثال: "مؤسسة الإغاثة العالمية، ومنظمة ألبير الدولية"، و"مؤسسة الأرض المقدسة للإغاثة والتنمية"، بتكساس، والوكالة الأمريكية الإسلامية للإغاثة، ومؤسسة الحرمين الأمريكية، ويقول مكتب الرقابة على الإدارة والميزانية (OMB Watch) أنه تم التحقيق مع هذه المنظمات الخيرية والعشرات مثلها منذ عام 2001، والمنظمات التي أغلقت لم تكن مدرجة ضمن قوائم الرقابة الحكومية قبل أن يتم تجميد ممتلكاتها⁽⁷⁾.

إن هذه الأمثلة وغيرها تدل بما لا يدع مجالاً للشك بأن منطق الحرب على الإرهاب يعتمد على رؤية نمطية للوقائع والظروف والملابسات ويستخدم ازدواجية المعايير في الحكم على الأشياء والحالات والدولة والجماعات والأفراد بما يحقق أبعاد الحرب على الإرهاب.

ثانياً: القوالب الجاهزة والثنائيات المتقابلة:

هكذا غيرت أحداث 11 سبتمبر 2001 من طبيعة الدبلوماسية الأمريكية فبعد أن كان: جورج دبليو بوش قلقاً يوماً ما من العجرفة الأمريكية أصبح الآن يطلق الإنذارات والتحذيرات من أن معركة أمريكا مع الإرهاب هي معركة الأحرار في العالم، وقد حدد الرئيس بوش الابن معالم هذه الحرب في عبارته المشهورة قائلاً: "إما أن تكونوا معنا أو مع الإرهابيين..⁽⁸⁾، إن هذا الاصطفاف الثنائي وقف منطق القوالب الجاهزة، إما مع أمريكا أو مع الإرهاب ووضع نماذج محددة تصف الإرهابيين من جهة وأنصار الحرية من جهة ثانية هذا يؤشر على حقيقة الفلسفة التي تقوم عليها سياسة الحرب على الإرهاب والنرجسية الأمريكية النابعة من الشعور بالتفوق والنزوع نحو الهيمنة ومنطق "أنا أو لا أحد" مما أدى بالرئيس بوش الابن أن يصرح في أواسط شهر أوت 2006 على أن الشرق الأوسط يشكل ساحة للصراع الدولي بين (الحرية والإرهاب) وأعتبر أن هذه المنطقة تجد

نفسها أمام لحظة مفصلية من تاريخها، معتبرا أن الحرب الإسرائيلية على لبنان في صيف 2006 تعبر عن مظهر لصراع الحرية ضد الإرهاب⁽⁹⁾.

هذا التعاطي مع القضايا بمنطق تبسيطي ووقف قوالب جاهزة، يحتقر إلى حد كبير عقول الناس ولا يهتم بالحقائق على الأرض، بل يتعامل مع الإرهاب عن طريق وضعه لثنائيات متقابلة مستوحاة من الثنائية الأصل صراع (الإرهاب - الحرية)، التي تشكل الخلفية السياسية والأمنية للسلوك الأمريكي في الشرق الأوسط والعالم. هذه الثنائية الأصل يمكن اشتقاقها إلى ثنائيات جنيسة استخدمتها الإدارة الأمريكية كمحدد في حربها على الإرهاب، بأشكال مختلفة بحسب الحالة وبحسب الواقع المراد التدخل فيه، وفي هذا الصدد يقول القس إكرام لمعي اسمعوا معي ما يقوله الرئيس بوش الابن وهو يتحدث عن الخير والشر، وكيف يتحدث عن غزو البلاد وقتل الأبرياء، وكأن هذا ليس شرا، بل اسمعوه وهو يبرر وقوف الكثير من الشعوب ضد أمريكا بالقول: "إن الشعوب تقف ضد أمريكا لأنها بلاد الحضارة والديمقراطية"⁽¹⁰⁾، وهكذا قسم العالم والشعوب إلى (متحضرين، وبرابرة)، وهو هذا يعود إلى تاريخ الإمبراطورية الرومانية القديمة.

بل أكثر من ذلك وانطلاقا من الثنائية الأصل (حرية - إرهاب) فقد صنفت الدول إلى ثنائية (محور الشر - محور الخير)، فبالنسبة لمحور الشر فقد وضعت الإدارة الأمريكية قائمة بأسماء كل من إيران - كوريا الشمالية، سوريا، العراق قبل الاحتلال... ويمكن أن تشمل هذه القائمة كل الدول الممانعة للسياسة الأمريكية في العالم، أما محور الخير فهي الدول الصديقة والحليفة للولايات المتحدة في حربها على الإرهاب، كما صنفت الحكومات إلى ثنائية (معتدلة - متطرفة) فالحكومات المعتدلة هي الحكومات المتعاونة مع الإدارة الأمريكية أمنيا وعسكريا وسياسيا، ولا تكثرث أمريكا من الإعلان عن هذه الحكومات كحكومة حامد قرضاى في أفغانستان، حكومة المالكي في العراق حكومة السنيورة في لبنان، حكومة برويز مشرف في باكستان، وكلها حكومات تتفاعل بشكل إيجابي مع سياسة الحرب على الإرهاب، أما الحكومات المتطرفة هي حكومات غير متعاونة تغلب مصالحها القومية على حيوية مصالح الأمريكية، كحكومة الوحدة الفلسطينية بقيادة حماس التي فازت بالانتخابات في جانفي 2006. وحكومة السودان الممانعة

للتصور الأمريكي في تسوية النزاع في إقليم دارفور وترفض التدخل الدولي وتعتبره مساسا بسيادة السودان.

إن هذا التصنيف وفق الثنائيات المتقابلة والقوالب الجاهزة التي اعتمدت عليه الإدارة الأمريكية في حربها على الإرهاب نابعا من اعتقادها بأن الإرهاب والإرهابيين هم الشر المتجسد، وأن أمريكا ومن يعاونها في القضاء على هذا الشر هم الخير المتجسد، وأن عليهم أن يعلنوا حربا مقدسة ضد البلاد التي تأوي الإرهاب أو تتعامل معه وعلى هذه البلاد تسليم الإرهابيين لأمريكا بالذات، ثم تتحرك أمريكا في هذا الاتجاه فتقتل نساء وأطفالا ورجالا لا علاقة لهم بالإرهاب أصلا، فيسقط العشرات كل يوم في العراق وأفغانستان وفلسطين بذريعة محاربة قوى الشر⁽¹¹⁾.

إن التركيز الأساسي على الإرهاب جذاب سياسيا على المدى القصير فهو يتميز بالبساطة، وبتضخيم عدو مجهول، واستغلال المخاوف الغامضة، يمكن من حشد الدعم الشعبي، لكن الاعتماد على ذلك كاستراتيجية بعيدة المدى يفتقر إلى القوة المستمرة، ويمكن أن يكون باعثا على التقسيم على الصعيد الدولي، ويمكن أن يولد جوا من عدم التسامح مع الآخرين انطلاقا من رؤية "كل من ليس معنا فهو ضدنا" ويطلق العنان للعواطف العصبية بأن تصف الولايات المتحدة الدول الأخرى بـ "الخارجة عن القانون" أو "المارقة"⁽¹²⁾

ثالثا: مبدأ الهجوم بغرض الدفاع على النفس:

لقد لخصت وثيقة الأمن القومي الأمريكي لسنة 2002 في عبارة مختصرة: "إننا ندرك أن أفضل دفاع لنا هو القيام بهجوم جيد .."⁽¹³⁾، كانت هذه هي إشارة الإنطلاق لخوض الحرب الاستباقية وهي مذهب نازي قديم يعتمد على فكرة ضرب العدو، أو القضاء على مصادر التهديد المحتملة قبل تلقي هجمات مفاجئة، فهل من حق الولايات المتحدة الأمريكية أن تقوم بهجمات استباقية لأنها تعرضت لهجمات 11 سبتمبر 2001؟ ويعلق باسكال بونيفاس قائلا: "إن الحق في الضربات الوقائية هو حق في العدوان وإذا كان كل الذين يشعرون بأنهم مهددون، يمكنهم القيام باعتداءات حتى يتجنبوا التعرض لهجمات، فإن هذا قد يثير ما هو أسوأ من الجحيم إنها العودة ببساطة إلى القرن 19م التاسع عشر، عندما كانت الحرب وسيلة شرعية وقانونية للتدخل في العلاقات الدولية"⁽¹⁴⁾.

بل إن الإدارة الأمريكية في حربها على الإرهاب تجاوزت الاستباقية إلى الحرب الوقائية، بحيث عبر "وليام كوانت" المسئول عن الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي، على أن "أخطر ما يؤمن به بوش الابن هو ليس مجرد إيمانه بالحرب الاستباقية (Préemptive war) أي الحرب ضد دولة ترى أمريكا أنها قادرة على شن حرب ضدها، ولكن إيمانه بضرورة شن حرب وقائية (Prevantative war) للحيلولة دون أن تصبح أي دولة مجرد مصدر تهديد لأمريكا⁽¹⁵⁾.

وانطلاقاً من نمطية الحرب على الإرهاب ووصفها لقوالب جاهزة لتصنيف الدول والأمم والجماعات إلى ثنائيات متقابلة (برابرة، ومتخصصون)، (إرهابيون، أحرار) فلا تحتاج الولايات المتحدة إلى إذن من أحد إذا أرادت أن تشن حرباً أو تعلن هدنة فالمرجعيات التي تضبط سلوك الدول هي ليست نفسها التي تحكم سلوك الساسة الأمريكيين، إذا رغبوا في عمل شيء ما، وهذا ما عبرنا عنه سابقاً بسياسة المعايير المزدوجة، ويرى نعوم نشومسكي إن الأمم الكبيرة تفعل ما ترغب في فعله، بسينما تقبل الأمم الصغيرة بما يجب أن تقبل به.⁽¹⁶⁾، حقا لقد تغير العالم كثيراً عبر آلاف السنين، غير أن بعض الأمور ظلت على حالها إلى حد كبير، ويقول أيضاً: "على مواطني العالم أن يتفهموا الوضع الذي هم عليه، ويجب أن يدركوا أن القوي لا يحتاج إلى مرجعية عليا."⁽¹⁷⁾

وفي خطاب الرئيس بوش في 1 يونيو 2002 في "وست بوينيت" قال: "يجب القيام بإجراء استباقي عند الضرورة للدفاع عن حريتنا والدفاع عن أرواحنا..." وفي هذا الخطاب استبعد الرئيس بوش الابن سياسة الردع التقليدي اعتباراً أن لا صلة لها بمخاطر الإرهاب، وانتشار الأسلحة ما بعد الحرب الباردة، وأعلن عزمه على نقل المعركة لأرض العدو، وعرقلة مخططاته، ومواجهة أسوأ الأخطار قبل بروزها" وتجدر الإشارة إلى أنه أغفل تعريف العدو، وبالتالي أبقى نطاق التحرك مفتوحاً على مصراعيه لاختيار الهدف بشكل تعسفي⁽¹⁷⁾.

فالحرب على الإرهاب وفق مبدأ الهجوم بغرض الدفاع عن النفس هي حرب مفتوحة وليس لها حدود مادام لم يحدد العدو المستهدف من هذه الحرب، إن الإرهاب هو

كلمة فضفاضة وغير محددة، فعدم الخوض في التفاصيل والجري وراء تحديد المفهوم والعدو المفترض منح الإدارة الأمريكية فرصة أكبر في استخدام القوة العسكرية من خلال عملياتها الميدانية في العراق وأفغانستان والفيلبين... إلخ ويرى بونيفاس بأن "الإدانة الأخلاقية للإرهاب هي التي تمنع من فهم أسبابه والطريقة التي يتم بها محاربته، تقود على العكس إلى تدعيمه." (18).

فهل يعني أن الاستمرار في استخدام القوة بغرض الدفاع عن النفس، هو تصرف عقلاني يؤدي إلى إفشال مخططات الإرهابيين ويهزم الإرهاب، فإذا كان 19 تسعة عشرة فردا بمصادر مالية زهيدة قاموا بإغراق القوة الأكبر، والأكثر تقدما في العالم في حالة من الذعر عن طريق تفجير برج التجارة العالمي ومبنى البنتاجون والتي نجم عنها أزمة سياسية عالمية، فهل تستطيع القوة العظمى إفشال هجوم مفاجئ آخر محتمل بنمط مغاير قد تستخدم فيه الأسلحة البيولوجية والبكتيرية، وهذا ما أكدته الخبر برجنسكي حينما قال: "... هنا تكمن معضلة القوة العظمى الوحيدة في العالم، كيف يمكن التغلب على عدو ضعيف ماديا لكنه يملك دافعا متعصبا، ما لم يتم إضعاف مصادر هذا الدافع، فلا يمكن القضاء على الإرهاب" (19).

ويضيف برجنسكي: "إن القضاء على الإرهاب يعني التعرف على الدوافع والعواطف المتشددة لهؤلاء من أجل تدمير حماسهم الناقمة.. إن الإرهاب في الواقع هو أداة شرسة يستخدمها الضعيف ضد القوي لأن الضعيف يمتلك ميزة نفسية كبيرة لديه بأن يخسر القليل وقد يستطيع أن يكسب كل شيء، في المقابل يمكن أن يخسر القوي كل شيء ومتى انزلق القوي في ردود الفعل مبالغ فيها، يتحول من حيث لا يدري إلى رهينة بيد الضعيف." (20)، في السياق نفسه اعتبر بونيفاس "إن الرئيس بوش بإعلانه الحرب على الإرهاب فقد دخل في لعبة الإرهابيين" (21)، وهذا ما يحدث بالفعل للولايات المتحدة الأمريكية هذه القوة العظمى التي لا تقهر بثير غضبها وسخطها تصريحات بن لادن والظواهري، أو الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله، أو خالد مشعل أو الرئيس الإيراني أحمد نجاد، والسوري بشار الأسد وكل من تضعهم هي ضمن خانة (الإرهابيين).

هكذا حاولت الإدارة الأمريكية أن تقنع شعبها والعالم بأن حربها على الإرهاب هي من أجل الدفاع عن النفس وأن من حقها أن تعلن حربا مفتوحة ضد الإرهاب والإرهابيين مع احتفاظها بحقها في الدفاع عن النفس، وهي تسعى الآن جاهدة من أجل أن تمنع إيران من امتلاك أسلحة نووية مهما كلفها ذلك من خسائر مادية ومتاعب سياسية، مادامت إيران دولة راعية للإرهاب والحرس النووي الإيراني منظمة إرهابية وفق المنظور الأمريكي، فهي مستعدة أن تخوض حربا ثالثة بعد أفغانستان والعراق في عهدة الرئيس بوش الابن لتمكن حصول إيران على السلاح النووي.

رابعا: إستراتيجية الفوضى البناءة (creativ couos):

يرى الكاتب الفرنسي آلان جوكس (Alin jox) في كتابه الشهير "إمبراطورية الفوضى" إن الولايات المتحدة بسلوكها العدواني والفظ ليس فقط تجاه أعدائها الحقيقيين أو المحتملين، ولكن أيضا بالنسبة لحلفائها الأوروبيين، إنها تنشر الفوضى في مجال النظام العالمي الراهن⁽²²⁾، الفوضى في النظام العالمي اشتقت منها الإدارة الأمريكية الحالية إستراتيجية الفوضى الخلافة (البناءة) كمحدد من محددات الحرب على الإرهاب وخاصة في تعاملها مع الأحداث في منطقة الشرق الأوسط التي تعبر عن المجال الجغرافي الذي سيحسم معركة (الحرب على الإرهاب) لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، فتقوم هذه الإستراتيجية على إثارة الفتنة بين الطوائف والمذاهب المختلفة وتجزئتها وتقسيمها بما يعرف سياسة "فرق تسد" التي استعملتها الدول الاستعمارية في محاولة منها لإضعاف منافسيها، أو لتمزيق صفوف مجتمع الدولة، أو تجمع الدول أو الحفاظ على التمزق القائم فيها لتخفيف السيطرة والهيمنة⁽²³⁾.

فقد شاع استخدام مفهوم الفوضى الخلافة، لإيجاد حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمني متعمد، وقد ظهر ذلك واضحا من في العراق من خلال نظام المحاصصة والفيدرالية التي وضعها الحاكم العسكري السابق "بول بريمر" ومازالت تفاعلتها الطائفية قائمة لحد الساعة، بل ونص عليها الدستور العراقي المؤقت، زيادة على الفتنة الشيعية السنية. ودعم طرف على حساب طرف آخر أو تسليح طرف آخر على حساب طرف آخر نفس الإستراتيجية تقريبا تم اعتمادها في المشهد الفلسطيني أين تعمق الفالتان الأمني

بين الإخوة الأعداء فتح وحماس، ووصل إلى حد التصفية الجسدية المتبادلة وقد ظهرت التأييد الأمريكي الإسرائيلي الواضح لجناح الرئيس محمود عباس ، ضد جناح إسماعيل هنية رئيس الحكومة المقالة، وهذا الدعم والتأييد زاد من تعميق الهوة بين أبناء الوطن الواحد.

نفس الإستراتيجية اعتمدتها الإدارة الأمريكية في التعاطي مع المشهد اللبناني أين وصل الصراع السياسي عقب حرب تموز 2006، بين القوى والأطراف اللبنانية، إلى انقسام سياسي وتجميد الساحة السياسية اللبنانية بعد استقالة وزراء حزب الله وحركة أمل وظهر فرقين على الساحة، فريق طريقين الموالاة بزعامة تيار المستقبل وفريق المعارضة بزعامة حزب الله، وقد عرفت لبنان اغتيالات متوالية بدءاً بالرئيس رفيق الحريري، وفلتان أمني نتيجة إرهابيات الانقسام السياسي، ويظهر كذلك في كل مرة التأييد الأمريكي المطلق لفريق السنيورة، عن طريق الدعم المادي (باريس 03)، والسياسي باستقبال وفود الموالاة في كل من أمريكا وفرنسا، وتظهر في المقابل المعارضة الأمريكية الصريحة لحزب الله وحركة أمل من خلال إعلان حزب الله حركة إرهابية ووضع قائمة اسمية من طرف الإدارة الأمريكية لأسماء شخصيات سياسية لبنانية ممنوعة من الدخول للأراضي الأمريكية، وهي أسماء معروفة بمعارضتها للسياسة الأمريكية في لبنان، وربما تتطور القائمة إلى لائحة مطلوبين أمريكيين في إطار الحرب على الإرهاب.

كما تستهدف إستراتيجية الفوضى الخلاقة إلى إعادة تشكيل الخريطة الجغرافية لدول الشرق الأوسط الكبير، يشكل بقيم قواعد جديدة، ويعيد تشكيل المنطقة بما ينسجم مع الأهداف الأمريكية، ويكون بديلاً عن الخارطة التي وضعتها القوى الكبرى (فرنسا - بريطانيا) في مطلع القرن العشرين (20 م) ⁽²⁴⁾

وفي يونيو (حزيران) 2006، نشرت مجلة القوات المسلحة الأمريكية خريطة لمنطقة الشرق الأوسط بعد تقسيمها المفترض، أظهرت المدى غير المحدود للمتغيرات الجغرافية التي تمتد حتى باكستان، وتتضمن غياب دول بالكامل من أبرزها العراق والسعودية، لكن المهم هنا هو اعتماد واشنطن على منطق الأقليات والطوائف التي تتحول إلى كيانات ودول ⁽²⁵⁾.

وقد تأكدت هذه الإستراتيجية من خلال تأييد واشنطن لأكراد العراق على النزعة الانفصالية لتشكيل دولة كردية ستكون عين أمريكا ويدها في حربا ضد الإرهاب، والأمر نفسه ينسحب على الحالة اللبنانية والفلسطينية كما مر معنا في التحليل السابق. الهوامش:

- (1) حسن الحاج علي أحمد، حرب أفغانستان، التحول من الجيوستراتيجي إلى الجيوثقافي، مجلة المستقبل العربي، (العدد 276، فيفري 2002)، ص14.
- (2) بسام العسلي، السياسة الإستراتيجية الأمريكية ومستجداتها، مجلة خالد العسكرية متحصل عليه من <http://www.kkmar.gov.sa>
- (3) باسكال بونيفاس الحرب العالمية الرابعة، ترجمة : احمد الشيخ ، القاهرة : المركز العربي للدراسات الغربية، ط1، ص 113.
- (4) ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة علم السياسة، عمان : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، ص 334.
- (5) سالي سامي البيومي، الحرب على الإرهاب كمبرر لانتهاك حقوق الإنسان، مجلة السياسية الدولية، (العدد 167، جانفي 2007)، ص 228.
- (6) سالي سالم البيومي، مرجع سابق، ص 226..
- (7) وليام فيشر، في الحرب على الإرهاب ليس هناك عدل والأسماء ليست كلها متساوية متحصل عليه من <http://www.islamdaiby.net/AR/Print.aspx&aid=5520>.
- (8) أندور باسيفيتش، الامبراطورية الأمريكية، حقائق وعواقب الدبلوماسية الأمريكية، بيروت : الدار العربية للعلوم، ط1، ص 292.
- (9) لقاء مكّي، الشرق الأوسط الجديد، اختلاف الفوضى، متحصل عليه من <http://www.Aljazeera.net/NR/exres/5C/A293A-4056-35F24AF>
- (10) القس إكرام لمعي، أمريكا و11 سبتمبر، كتاب الإمبراطورية الأمريكية، الجزء 03، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2002، ص 232.
- (11) المرجع نفسه، ص 234.
- (12) زبيغنيو بريجنسكي، الاختيار: السيطرة أم القيادة، ترجمة عمر الايوبي بيروت : دار الكتاب العربي، ط1، ص 240.

(13) فرانسيس بويل، تدمير النظام العالمي، الامبريالية الأمريكية في الشرق الاوسط، قبل وبعد 11 سبتمبر، ترجمة سمير كريم، مصر : المجلس الاعلي للثقافة، ط1 ، ص ص 265، 266.

(14) باسكال بونيفاس، مرجع سابق، ص 108.

(15) محمد وهبي، أمريكا الجديدة هل يمكن التفاهم معها، مجلة شؤون عربية، (العدد 120، شتاء 2004)، ص 45.

(16) نعوم تشومسكي، ارباب القراصنة وارباب الأباطرة، ترجمة احمد عبد الوهاب، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، ط1 ، ص 176.

(17) المرجع نفسه، ص 175.

(18) زيبغنيو بريجنسكي، مرجع سابق، ص 47.

(19) بونيفاس باسكال، مرجع سابق، ص 109.

(20) زيبغنيو بريجنسكي، مرجع سابق، ص 57.

(21) نفس المكان.

(22) باسكال بونيفاس، مرجع سابق، ص 109.

(23) السيد ياسين، الإمبراطورية الكونية، الصراع ضد الهيمنة الأمريكية، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص 12.

(24) ناظم عبد الواحد الجاسور، مرجع سابق، ص 274.

(25) لقاء مكّي، عالم ما بعد أحداث سبتمبر، الشرق الأوسط الجديد، اختلاف الفوضى، متحصل عليه من

<http://www.Aljazeera.net/NR/exres/5C/A293A-4056-35F24AF>

(26) نفس المكان